

## الثقافي الشجن



أحمد عمر

### الدبابير الحديدية

فتوة حارة الماللي، وفتوة البازار وفتوات (الأعين الساهرة)

ما أن ينفخ الصيف في تتوره حتى تتوهج سماء النهار بالدبابير، الدبابير تبني أعشاشها في أعلى الأسقف ونواصي الحيطان الطينية، دبابير حمراء، كميتية، مؤخراتها ملونة بأشرطة مرقطة بالأصفر، ما الذي أغرى أجهزة الإطفاء الأوربية لتقتبس ألوان أزياء عناصرها من ألوان دروع الدبابير؟ دبابير لها حوافر وأظلاف بدلاً من الأطراف، دبابير ثقيلة الكوائل تتوء تحت السم، النحل يتغذى على رحيق الأزهار فيحوّله إلى عسل، أما الدبابير فتحول غذاءها إلى سم ناعم، دبابير شرسة تنبض إبرها دخولاً وخروجاً في محاقنها؛ أبي كان يكلف صاحبه الصوفي صالح فيحضر سماً من بائع الخردوات شيخي، في المساء يضعها في ورقه بعد لفها على هيئة أنبوب ثم ينفخها في عش الدبابير ويطيّن باب الثقب.. نهجم عليها بالمذبّات الخشبية الشبيهة بمضارب التنس، لكن أقصر ذراعاً، تسقط فنسحقها بأحذيتنا. قتلها لا يشعرنا بالنصر ولذة الانتقام، فهي لا تصرخ أو تتألم كما نفعل من وخزها السام الذي يورم الخد الملسوع إلى حجم

فلقة مؤخرة ربة بيت لم تخرج من بيتها إلا للقبر. يدوم الألم ساعة وينخد بعد تريد مكان اللسعة بمياه الآبار أو كتل الثلج. نعود إلى انتقام لا يحصل، نرجم قفايرها بالحجر إلى أن نخرج أشلاء نخاريبها ويرقاتها. الدبابير تعرف خصومها الذين يرحمون أعشاشها بالحجارة، بدليل أنها لا تلسع الكبار الذين يمرون قاصدين الجامع، تحوم على رؤوسهم، يتابعون غير عابئين، فنتركهم، أما نحن فتطاردنا حتى (صين) ثلاثة شوارع، يصيح بنا الأبعدون من الفقير عند هجومها: انبطحوا.. تمددوا.. ننبطح.. الدبابير حشرات تحترم الفروسية وقوانينها، شماء لا تقررص إلا المعتدين الواقفين، وتزهد في الانتقام من المنبطحين، لكن بعضها الآخر، المسعور ينقض على المنبطح قرصاً وعضاً بالأنياب والمخالب!!

هنا كل الكائنات مسعورة، الإوزات بمناقيرها التماسحية، الكلاب بنباحها الغاضب تلحق بالعابرين حتى تخوم القرية المجاورة، وهي تكاد تفترس الحجر، وتعض عضلات الفراغ، الآباء مسعورون من تأبى الأمهات عليهم في الليل، الأمهات مسعورات من اغتصاب الآباء لهن، الحكومة مسعورة بمدرسيتها الذين يكتبون بالعصي على أجسادنا مذكراتهم، الشرطة المفطورة على البطش مسعورة.. الصيف الحارق، الشتاء المارق...

من أين تتوالد كل هذه الدبابير، بنات القيظ، بنات القحبة، الطعام كثير: لحوم القصابين، كروم العنب المنتشرة حول البلدة، سواقي البول الحمضية، بساتين البطيخ وأشلاء ثمارها المنتشرة في كل مكان.

بحلول المساء يتداعى حظر التجول بعد أن تخذ الدبابير إلى النوم ويسحب القيظ أشلاءه إلى استراحة المغيب. لكنّ عنبري، فتوة حارة الملالي لا ينام، لا يرتاح، صاخب، يملأ بصياحه وشتائم العرصة، يفرض سلطته على السوق، ويعيش عزيزاً مكرماً شعبان، الكل يعزّمونه، تعال يا عنبري شاركنا الفطور، فطور أصحاب بسطات البطيخ والخضّارين وبياعي الحبوب التقليدي: صينية لحم مفروم مفروشة السطح بشرائح البندورة والفليفلة والباذنجان، تعال يا عنبري وشاركنا الشاي.. يشربون الشاي في أباريق صغيرة مثل إبريق علاء الدين السحري في الرسومات والأفلام، ويصبونها في كؤوس رقيقة البلور، مخصصة الوسط، عشتارية الشكل، تعانقها أصابعهم بحنان ويحتسون من شفاهاها الخمرة الحلال.. عنبري يسدي خدماته للسوق: ينظم بازارات البطيخ، ويفك نزاعات العتالين. في العشرينات وله كل هذه السطوة!! لايزال طالباً، منذ متى هو في الإعدادية؟ وثائق المدرسة النائمة على معلوماتها لا تتكلم. المدرسون يستعينون به في تنظيم المسيرات الشعبية الهاتفة بسقوط الاستعمار وتعيش (البتاع). مدرب الفتوة، التربية العسكرية، لا يستعني عنه.. يستعين به في الصياح

(بالمسيّرين)، في ضبط التزامهم بالمسير، وتناسق الرتل، والاستجابة الدقيقة للأوامر والإيعازات. كنا نتهرب من المسيرة، نعد المروق بطولة، وان أخفقتنا في الهرب، ننتقم بتدمير الأوركسترا، نحطم الإيقاع، نسبل عند إيعاز الاستعداد، نرتاح عند إيعاز الاستراحة، نخبط القدم اليسرى في دور اليمنى، نقلب الشعارات: يسقط الاستع.. عنبري.. يسقط الاستع.. عدنان (اسم مدرب الفتوة الحقير) الذي يعاقبنا بالزحف في الحصى وبرك الوحول المجدولة بالبول، فنعود إلى دورنا مشوهين ممزقي الثياب والاجساد، فننال عقوبة أخرى من آبائنا وأمهاتنا: ازحفوا يا كلاب.. ولكن عراة، حرصاً على ما بقي في الثياب من خير.. مع كل خطوة نهتف، أمة.. عربية.. واحدة.. ذات.. رسالة.. خالدة.. نختصر عربية بـ بية، و نهتف: سالة بدلاً من رسالة.. ممنوع اختصار الشعار.. (المتأمرون) في الصفوف الخلفية: يصيحون: أمة.. بية... جاحدة.. ذات.. وسادة.. خالية.. الويل ( وهو واد من البول في مدرسة امرئ القيس) للمختصر إن ضبطه عنبري أو عدنان، الويل للمتأمر.. والغائب عن المسيرة يغرم بإحضار ولي أمره و ورقة حكومية ممهورة بطابع بخمس ليرات وهي ثروة من عملة تلك الأيام.. عنبري يجوب الأرتال مثل ققير دبور مرجوم بالحجار باحثاً عن ضحية.. في إحدى المناسبات الوطنية الغزيرة، بعد أن سجلت اسمي في القائمة، في إحدى المنعطفات تسلفت من الرتل ، لكنّ أحد الزملاء افسد علي حريتي ووشى بي إليه، أمسكني في اليوم التالي من خناقي وحشرنني في الحائط الذي يعلوه عش دبابير، تقب في الحائط يغلي ويفور بالدبابير السامة، قيّدني، ثم طلب من الصبيان تهيج العش.. انبطحت وصرت أصيح مستجداً.. المدد.. المدد.. خرج أخيراً الحاج مكي مستيقظاً من قيلولته وصرخ بعنبري:

- أطلقه عنبر .. هذا (كريفنا)

كان أبو عنبري قد وضع أخي الصغير في حضنه عندما ختنوه فصرنا كرفاء.

نسي عنبري قربى الكريفية، صار دم أخي المقطور في حضن أبو عنبري ماء في اليوم التالي. موت أخي الصغير لا يعني انتهاء هذه القرابة حسب الأعراف، لكنّ عنبري ضعيف الذاكرة، بلا وجدان، مصلحته هي قرابته ودمه ودموعه وابتسامته. حقدني عليه كبر، عندما أجرى لنا امتحان التربية العسكرية.. هو الامتحان الشفوي الوحيد من بين الامتحانات التحريرية في المدرسة، زميلنا سيجري لنا الامتحان على كتاب من مائة صفحة! أين صارت هذه؟! امتحان كثيف وشاق: في الرتب العسكرية وطرق التمويه والتنصت وأقسام البارودة الكندية وإمكانية الأمر بتفكيكها وإعادة تركيبها، الهدام وطريقة ضرب التحية عاملان مهمان.. حبست نفسي من أجل الحفظ. الامتحان مثلما يروي الذين سبقونا، من الشعب الأخرى، يمكن أن يكون سهلاً كالماء أو صعباً كلسعة

الدبور، بعضهم ينال العلامة الكاملة بسبب حسن أداء التحية أو اسم عائلته أو قرابته أو مزاج عنبري. و آخرون يرسبون أو يعاقبون بالزحف في الكواميخ .. دخلت بعد ثلاثة أيام غرفة الامتحان، وأنا ارتجف فرقاً، كان عدنان يصحح لأميل، الطالب الوسيم، خطأ أجابته بتمديده على الطاولة، ويشرح له بدقة تطبيقية معنى إجراء عملية التنفس الاصطناعي لغريق!! في بلدتنا هذا عار لا يمحي، لكن عار الحكومة أقل وطأة من عار المحكومين، عارها مثل القدر.. الرسوب لا بأس به، المهم أن أنجو من الغرق في (قبلة الحياة) شكلي لا يوحى بأنني يمكن أن أكون غريقاً محتملاً، أديت التحية خابطاً قدمي اليمنى في الأرض إلى حد أن الألم انتقل إلى رأسي، عنبري كريفي وجاري، يبعد بيته عن بيتنا بستة بيوت، لكنه مثل الدبابير لا يعرف الرأفة إن غضب ، حتى لو انبطحت سيلسع، دخلت فرفع البارودة الكندية ولقمها وسدّها إليّ:

- كلمة السر

البارودة خالية من النار، رغم هذا خفت من الموت

- ولكن المعركة لم تبدأ بعد

- كلمة السر

.... -

انقلع: علامتك ٨ من عشرين.. الحد الأدنى

.. كنت أعد نفسي للعلامة الكاملة، بعد كل هذا الدرس والحفظ، خرجت ذليلاً مثل دبور منزوع الأجنحة. فيما بعد، فضحوا لي كلمة السر التي يعرفها كل ذي بديهة: يسقط الاستعمار!! اختفى عنبري واختفى صوته المعدني. بعد الامتحان، قبل ثلاث سنوات، لمحته في فلم تلفزيوني أحضره صديقي مجيد ديار بكر لي، المقيم بالمانيا، كان قد صور بيته ومتجره لخطيبته على فلم فيديو ، ليطمعها في بلاد الكفار، بيته في برلين، تجري من تحته الأنهار، الكاميرا تتجول في المطبخ والصالون والمتجر، وتتعرف على بعض الزبائن، فجأة ظهر عنبري وهو يلتهم النمورة، مجيد بائع حلويات سابق، قال لي شارحاً النمرة الجديدة: لم أعر على السميد الناعم في حوانيت برلين إلا بعد مشقة، فلق رأسي وهو يطالب بالنمورة فطهوتها له، كان وديعاً كأرنب، يلتهم ويلقي نكات لا طعم لها، ويشكره على هريسته، سألت مستكراً: كيف منحت بلاد الاستعمار عدوها اللود اللجوء؟!

قال مجيد مازحاً: أظهر لهم بطاقة ممهورة بختم دوائرنا، تثبت أنه منهم وفيهم واليه، مواطن استعماري أبا عن جد؟!!

- ما هذه السحبة أبو حميد؟

- ولو.. بطاقته تعريف، مكتوب عليها (أجنبي)

هكذا هنئ عنبري ومعظم زملائي ببلاد الاستعمار وبأهم أطيبين في الحياة، الكرامة والنساء وتركفن في الشوارع نهتفن ضدها ونحلم بها!!

كان (أخو الحوافر الأربعة) يقضي أكثر أوقاته مع المكوجي (مدني) مستمتعاً إلى الأغاني التركية ومتمتعاً بها، مدني يضع المكواة الحديدية السفينية الشكل على نار الموقد البترولي الأزرق، ويغازل خادمة مدير مدرسة امرؤ القيس شعلان. وردة تحضر ثياب شعلان للكي، كل يومين: تعالي.. سأكويك

فتقول الصبية الصغيرة المغمورة بالدلال

- ثيابي لا تكوى.. نايلون.. تحترق

- أكويك أنت يا غزالتي

- فتسأل ببراءة فطرية: أنا.. كيف وهل يكوى البشر؟

يرفع الستارة ويشير إلى كومة الثياب المعدة للكي والتي تصلح سريراً للذة همجية:

- هنا سأشرح لك.. أنا المكواة.

قتلت وردة ، بعد تورم بطنها إثر لدغة من دبور بشري.. الأقوال أجمعت على أن مدير المدرسة المهندم شعلان وجدي هو الذي (كواها)، لسعها لسعة الحياة التي تؤلم بعد تسعة أشهر من حصولها، تورم بطنها يوماً إثر يوم.. من فعل بك هذا يا وردة.. لم تنطق، زوجته الصاخبة صرخت: اقطع لسان من يتهم زوجي، زوجي لا يقربني أنا فكيف يقرب مفعوسة مثل وردة!! شعلان بدوره اتهم عنبري: رأيته يحوم حول الدار؟ أهلها سكتوا وقالوا جرحنا ونحن سنداويه: سنحل الموضوع بطريقتنا. اخذوا ابنتهم و زنزنها.. (قرروها) فلم تقر.. جوابها الوحيد كان الدمع ثم أجابت جوابها الأخير: الدم.. فتطهر جرح أهلها.. لفظت المسكينة الصغيرة، غزالة مدني، بسكين في السرة خرج من ظهرها.. كان آخر صرخة لها: لالا لا يا بوي.

دفتت في الليل، تحت قطران الظلام، والفاعلان كرّما. أحدهما صار مواطناً ألمانياً، والآخر في منصب كبير يقص الأشرطة الحريرية، ويظهر في التلفزيون وتصفق له الجماهير على جهد بذله الآلاف من العمال.. ايبيبيبيبيب شعلان.. كان مديراً لمدرستنا الفاضلة في أول بزوغه. يدخل غرفة الصف الأول الابتدائي، غرفة صفنا، فتصيح الأنسة شذى، التي يشبه قوامها المتفجر بالأنوثة قوام سهير رمزي، ولكن أجمل منها بحبتين، فأنفها أصغر وشفاهها أسمك، مثل موضة هذه الأيام. يدخل، فتصيح: قيام.. فنقوم. ثم تصيح: نيام، دون المرور بالمرحلة الوسطى، جلوس، نضع رؤوسنا على أيدينا المتكاثفة على المقاعد ونغرق في نومة بلا نوم، سعيدين بالخلاص من ثقل اليقظة، نفكر خلالها بالوظائف الثقيلة والجزاءات التي نغرم به يومياً (حتى لا نقضي أوقاتنا في الشوارع).. في (النيام) الثانية قمتُ بخرق الأدب، وتلصصت على المشهد الذي سبقني إليه أشقياء من الزملاء: كان علي بابا وجدي، يقوم باجراء عملية التنفس الاصطناعي للغارقة في حبه، وهندامه، وأسلوبه التربوي الفاضل، درس لا يشهده سوى ثالثهما، الشيطان، في وجود أربعين تلميذاً (منوماً)!!

سقط شعلان قبل أربع سنوات، لا ليس في عملية ثأر ولا انتقام، أو عملية إصلاح، إنما في الانتخابات البلدية.. سقط بسببي.. أنا أسقطته.. سقط بصوت واحد.. كانت الانتخابات على أشدها، العملاء يلحقون بالمصوتين: ادخل تفضل.. يوزعون الفطائر في الداخل

- أكره الفطائر

- أستاذ.. صوت لابن حارتك المربي الفاضل، باني الأجيال، شعلان

- ألم تسمع بالمعتزلة.. أنا منهم

فيما بعد، في دورات أخرى، صوتت لآخرين لا أعرفهم.. سارت إشاعات تقول أن الممتنع عن التصويت سيحرم من حوافز كثيرة، وقد يطرد من العمل ويدعى للتحقيق.. كل شيء إلا الدعوة للتحقيق.. استسلمتُ وانقلبتُ على واصل بن عطاء وثابت بن سيار. صرت أمنحهم بطاقتي الانتخابية، المشرفون على الصناديق ينظرون إليّ بإعجاب ولسان حالهم يقول ياله من منتخب وطني، وأنا أقول:

- ضعوا أسماء من تريدون.. تريدون قائمة سعدونكي.. لم لا؟ رجل من خدام الوطن.. لولاه لدخنا الروث في ورق العنب!

سعدونكي فتوة سوق القصابين:

لم يبرز سعدونكي، القصاب النحيل إلا متأخراً.. فتوته اكتسبها من جرأته في ضرب السكين، طعن ابن عزيّ سبع طعنات، ودخل السجن ثم خرج بعد تسوية مالية، الطعنات رفعتة في أعين الناس الذين يحترمون القوة، ظهوره ازداد على الساحة بعد أغنية المطرب الكردي صلاحو، مهيج الأكتاف ومزلزل الخصور، ومسقط ذنوب الأجساد، في دبكات الأعراس.. في عرس شفان ابن فصلاً غنى أغنية جديدة هذا مطلعها:

أم أم أميرة..

سم سم سميرة

أمورة قيزا كيا ( أمورة بنت من؟)

قيزا علي بطيا ( بنت علي بطي)

لم يكن سعدونكي الجمل، الحلبي الذي استطاب أهله الإقامة في بلدتنا، في السبعينات، ممن يحضرون الأعراس الكردية أو العربية، لكن الأغنية جعلته يقع في غرام سميرة بنت علي بطي، فأسند شغل الشي إلى صانع، وجعل يخافر أمام دارها الفاخرة، ويصيح : شيكولاتههههههه.. سميرة سمراء، ناعمة طيبة مثل الشيكولاته، لقبها شيكولاته، في الصيف البنات لا يخرجن إلا نادراً، وطدّ سعدونكي علاقته مع أخيها الصبي قرني، سعدونكي، أبو ساطور صار يقضي يومه في ظلال مداخل الدور وهو يلعب الداما مع قرني، وقرني سعيد بمصاحبة الفتوة، لكنّ أبوها أفسد الصحبة وزوجها من مهندس، سعدونكي لم يجرو على التقدم لها، بينهما ما بين السماء والأرض، هي بنت إقطاعي وهو رعاعي، هي صاحبة جمال ودلال وهو صاحب سكين و قرن غزال، هي كردية وهو ابن حلبية..

فيما بعد علا نجم سعدونكي كمشرف على عمليات تهريب الدخان الكبرى، جاء رجال بسيارات بلا نمر وبحثوا عن (مندوب) للدخان المهرّب، رشح له أصحاب القرار والأسنان سعدونكي، كبر نفوذه، صرّح مرة: سأجعل المهندس عبدو يطلق شيكولاته، أصحاب الأسنان والعقول نهوه عن هذا الفعل، فشيكولاته ذابت تحت شمس الزواج، لها ولدين، مؤخرتها كبرت، وبطنها كذلك.. ولغ المهندس عبدو في الإناء. اقتنع سعدونكي.. فهو يجوب المدن ويلغ في أوان أوربية، وروسية، وبلغارية وكوسوفوية وشامية.. أوان بيضاء مثل الحليب. الشرطة لا تجرؤ على التدخل في عمله، ليس خوفاً منه، إنما من (معلميه). تحضر قاطرة مقطورة كبيرة وتبدأ بالتفريغ في وسط البلدة، الجميع يدخنون في بلدتنا، الكبار، النساء، والصغار.. الرضعاء يسعلون.. الأب يوقظ ابنه المتأخر

في النوم بقدمه: قم يا فاشل.. اخجل من نفسك.. الناس خلصت علبتي دخان وأنت لا تزال نائماً... وسعدونكي له دالة وفضل، لاسع رئاتنا الأكبر بسم النيكوتين.. سقط أخيراً. لم تشفع له كل أمواله فقد أصيب بمرض أخبث من المرض الخبيث نفسه.. أصيب به بعد عشر سنوات من إصابة النجم هدرسون الأمريكي، أول مصاب بالمرض.

### زيزو فتوة السينما:

زيزو يساعد شاذلي في إدارة ملهى البيمبون، والمتأخرين على مواعيد كراء دراجات ديرسم، الساعة بليرة، الغرامات يجيبها زيزو، يدير أكبر عربة قمار في الأعياد، عربة عليها علب دخان متنوعة، ترمى من مسافة مترين أقواس خشبية، العلبة التي تتحجز في القوس الخشبي الخفيف تصبح من حظ الرامي، لعبة يسرق بها خرجيات الصبيان. يوكل إليه رستم بيع تذاكر السينما، لا يستطيع بيعها إلا فتوة مثله، فالتدافع على كوة التذاكر يذكر بيوم الحشر عندما تعرض الأفلام الهندية. وحده القادر على ضبط ممزقي أغطية المقاعد الجلدية، يظن ملاك السينما أنهم يفعلون ذلك قصداً، وهم فعلاً يتقصدون ذلك: عندما تظهر امرأة عارية الجذع يصيحون بمدير البكرات: بروووو.. نزل (الكاميرا).. نزل.. برو لا ينزل، فينتقمون. لا تتقضي سطوته بانتهاء العرض، فبعد الفلم يبيع لنا شرائح من أشرطة الأفلام المقطوعة، نشترها ونستعيد الفلم من خلال لقطة أو اثنتين، حذرونا منه: إياكم والاقتراب من تواليات السينما، فزيزو بالمرصاد. افترض أمره عندما زارنا أميل من ألمانيا، أميل صبي وديع ووسيم، رقيق، طويل الشعر، يصل إلى كتفيه، أمه ألمانية، يتكلم حبة حبة وليس مثلنا يثرثر كمن يدفع تهمة القتل.. وقع زيزو في غرامه، أهدها عشرات القطع من أشرطة الأفلام، فرض عليه حمايته، ممن يحميه؟ فهو الجلال الوحيد، ونحن على أميل مشفقون، صيف وحيد ويغادر.. أطلق عليه زيزو اسم (آشا باروخ) نجمة الأفلام الهندية.. يلاحقه أينما ذهب.. لم يستطع زيزو الإيقاع بأميل، أو لم يصبر حتى تستوي ثمرته من الرشاوي والإكراميات، فأوقع بواحد من الصبيان الذين ينظفون السينما، استغل خلو السينما و(لسعه)، عاد الملسوع مورماً إلى الدار فابلق أهله الشرطة فقبضت عليه وعملت له فلماً مستلهماً من العصر العباسي، خلقت له على الصفر، وعلقت له فردتي جزمته على رأسه، وسيروه في مسيرة إذلالية على أضلاع أربعة شوارع، من المخفر إلى الملعب، ومن الملعب إلى بناء الكهرباء، ومنها إلى السوق، ثم إلى المخفر.. والناس تواجرو فيه كسباً للثواب: الذي يلكمه والذي يصفعه والذي يرحمه بالبندورة المعطوبة وقشور البطيخ، والذي يرفسه بمقدمات أحذية دبّاس الجلدية القاسية، يصوبون أسنة الأحذية على منتصف المؤخرة ويشوطون، عمال الصيانة الميكانيكية على الضلع الثاني من خط السير، خرجوا من أجواف الشاحنات ودهنوا وجهه بشحم



السيارات.. في الضلع الثالث تابع مسيرته مكللاً بهالة من الدبابير والذباب ثم تابع طريقه إلى سجن قلعة زنوبيا في وسط الصحراء، هناك حيث يمسح المساجين إلى دبابير وعناكب.

### الأعين السهرة وانتهاء عصر الفتوات:

انقرض الفتوات من بلدتنا، حل محلهم فتوات جدد، ينالون أجوراً مجزية من الحكومة، هكذا سماهم وليد

إخلاصي في رواية دار المتعة، تقية. اسم لطيف، وديع ، يتناقض مع بطشهم ورعونتهم وخيلائهم، وكأنهم دائرة رومانسية في يوتوبيا أفلاطون، كأنهم هيئة لإنقاذ (قلوب عاشقة واقعة في الشبكة!) أين منهم الفتوات أيام زمان.. الفتوة من هؤلاء كان يكتفي بعلاقة لضحيته أو عملية (كي) على الأكثر. أما الأعين الساهرة، اقصد (الأنياب المفترسة) فلا تعرف كريفاً أو قريباً، الداخل إلى (وكرهم) مفقود والخارج مولود، وكرهم لا يحمل اسماً، صور وشعارات وطنية مفرطة في الاطلاقية واليقين، كنت أزورهم زيارات دورية، في دعوات إجبارية، يتركون لي طلباً شفويّاً في العمل. ينقل لي المكلف بنقل الدعوة (الأمر) كما لو أنها نعوة.. يقولها ممقوعاً: شد حيلك.. تروح وترجع بالسلامة.

معظم ضحاياهم من المعجبين بـ (معالم في الطريق)، وعشاق (رأس المال). جفران جديديان، الضحايا تختفي دون أثر.. بعد تلك الاختفاءات، استبدت بالبلدة حمى الهجرة إلى أوربا.. لم تبقى عائلة إلا ولها مهاجر.. حتى أولاد الإقطاعيين تركوا أراضيهم وثرواتهم وهاجروا.. حياة لا تطاق. بائع البطيخ جمشيد اتهم بأنه يسخر من عقيدة الاتحاد السوفيتي، الدولة الصديقة لشعوب العالم الثالث، صرخ مرة على بضاعته: بطيخ الأحمر.. بطيخ شيوعي. فألبسوه طاقية الإخفاء.

- وما العيب في هذه الجملة؟

- اذكر ج ب تسمع صوت الإبرة على بعد ثمانين عاماً. لابد أنهم سمعوه.. وهم يخشون أن يقطع برجيف علاقته بنا فنبقى كاليتمى على قارعة الأمم.

نفى التهمة، فهو يكره كل شيء شيوعي، وأثبت أنه لا يقطع وقتاً (في الصلوات).. تركوه بضاعته الشيوعية على الطريق وابنه الطفل فعاد ولم يجده، هاجر هو الآخر إلى ألمانيا. مآسي لو عاينها سوفوكليس لدبجها في تراجيدياته. كثيرون وقعوا في حب رأس المال، حواس كان أحدهم، اقتدى ببطل (شيء من الخوف) فقاد المحتشدين على باب التمويل إلى (دار العمدة)، ليشتكى، فاختفى، ثم خرج بعد ثلاثة عشر عاماً، مقلوب الشكل، مثل الكونت دي مونت دكريستو،

لكن من غير كونتسية وجاه. خرج مثقفاً، يترجم من الإنكليزية، ويدير ندوات في مجلات لا تدخل البلد.. انتبه إلى التغيرات في البلدة المقلوبة. واستكرا انتشار الأبنية الأسمنتية: أين البيوت الطينية العازلة الباردة في الصيف والدافئة في الشتاء..؟ أين كروم العنب؟ وأين بساتين البطيخ؟ أين النهر الذي جف؟ أين الكريفية؟ الناس يختنون أولادهم في حضن الآلات هذه الأيام؟

- لا هذا تقدم وتحضر.. على الأقل خلصنا من أعشاش الدبابير. إنها من إنجازات حكومة البلد الكثيرة.. رضي الله عنها.

- لم نخلص من شيء. أنتم تأكلون السم بالمعلقة. على عكس سم الدبابير الذي ينفع كعقار ودواء للأمراض مختلفة. وسرعان ما يدعم رأيه بالدليل.. انظر إلى هذا السم، ويشير إلى التلفزيون أمامنا، تلفزيون مهرّب، سلمت يدا سعدونكي.. لولاه لتفرجنا على الأسود والأبيض، أو لانتظرنا على الدور، سنوات طويلة.. كان التلفزيون يعرض صورة بالألوان للمربي الفاضل، منقذ الأنسات المغتربات من الغرق، الدبور شعلان.. كان يقص شريطاً حريراً وسط تصفيق وكأنه.. بطل أولمبي!!

**ملاحظة: بلدتي في قارة آسيا .. الواقعة في القطب المتجمد الشرقي!!**

خاص بـ تيريز. كوم  
08/10/2003

This document was created with Win2PDF available at <http://www.daneprairie.com>.  
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.